JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ
العدد الرابع
(١)-(١٦)

انعكاس بنية اللاوعي في التشكيل العراقي المعاصر

أ.د. جواد عبدالكاظم الزيدي
كلية الفنون الجميلة – بغداد
alzaydiart66@yahoo.com

م.د. رؤيا احسان رفعت
معهد الفنون الجميلة للبنات – بغداد
riyam1991@yahoo.com

ملخص البحث :

تمثل بنية اللاوعي أو اللاشعور الجمعي على وجه التحديد مرجعا مهما في نوع الانجاز الفكري والأدبي والفني وتبيان سماته وخصائصه ، طبقا لطبيعة تراكمات الارث المعرفي بمستوياته المختلفة غلى صعيد الميثولوجيا والدين والموروث الثقافي والأعراف وكل الثوابت اليقينية ، فضلا عن متغيرات الأبنية الاجتماعية كونها التمثلات الحسية لكل المعارف العقلية . ولهذا يمكن التفريق بين طبيعة انتاج الفنون طبقا لتلك المتغيرات الأنثروبولوجية التي تشكل عاملا مهما في خصائص هذا الحقل الابداعي.

ولعل بنية اللاوعي اسهمت في البنيات السطحية والعميقة القابعة خلف الشكل الظاهري في حركة الرسمية العراقية والمنجز النحتي ، التي تجلت بتجارب فنية تمثل ظاهرة كبرى في المتحقق البصري التي أفضت اليها منجزات الجماعات والاتجاهات الاسلوبية أو على مستوى الأعمال الفردية الشاخصة في ساحات المدن العراقية وشوارعها وارثها المتحفي ، بما يرسخ تلك العلاقة بين نضال الشعب العراقي لانتزاع حريته المسلوبة ويقينه في المقدس وصولا للآيديولوجي الذي يعد متلازمة فكرية ترفد العمل الفني بنوع من ترديدات الذاكرة الجمعية أزاء القضايا المصيرية للشعوب وتأريخها . ولذا فأن هذه التمايزات التي تؤسس للاختلاف المرئي وصولا الى الاختلاف في المنهج التشييدي او المدرسي الواحد انطلاقا من اختلاف المرجع الفكري لكل فنان . ولذا فأن هذا البحث يرصد تحولات بنية اللاوعي طبقا لمتغيرات المكان والزمان والارث الثقافي ومن ثم انعكاساته على شكل الفن ، بوصف هذا اللاوعي يمثل الذاكرة الجمعية الشعبية التي تضحو رقيبا لا مباشرا على الذات الفنية الخلاقة ، وصولا الى تحليل عدد من النماذج الفنية العراقية في حقلي الرسم والنحت بما يفضي الى تحقيق الهدف الرئيس الكامن في سؤال البحث عن انعكاسات بنية اللاوعي التجربة الفنية المقصودة .

الكلمات المفتاحية : انعكاس – بنية– اللاوعي.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

The Representation Of Unconscious Structure Within The Modern Iraqi Abstract Art

Lect. Dr. Ro'ya Ihssan Rif'at[1], Prof. Dr. Jawad Abd-alkadhim Al-Zaidy[2]
[1] Females Institute for Fine Arts, Baghdad [2] College of Fine Arts, Baghdad
riyam1991@yahoo.com alzaydiart66@yahoo.com

Abstract

The structure of the unconscious or collective unconscious, in particular, represents an important reference in terms of the type of intellectual, literary, and artistic achievement and clarifies its features and characteristics according to the nature of the accumulation of knowledge heritage at its various levels in terms of mythology, religion, cultural heritage, norms, and all certain constants, as well as the variables of social structures being sensory representations of all. As a result, it is feasible to distinguish the type of art creation based on the anthropological elements that play a key role in the features of this creative sector. Perhaps, the unconscious structure contributed to the superficial and deep structures that lie behind the apparent form in Iraqi official movement and sculptural achievement, as manifested by artistic experiences that represent a major phenomenon in the visual verification that groups and stylistic trends have led to, or at the level of individual works in Iraqi city squares and streets and their museum legacy. To enhance the relationship between the Iraqi people's fight for stolen freedom and trust in the holy, and the ideological, which is an intellectual sickness that stimulates creative output via a sort of communal memory repetition about the people's catastrophic worries and history. As a result, this study examines the changes in the unconscious structure as a result of variables such as place, time, and cultural heritage as well as the ramifications on the form of art because the subconscious represents popular collective memory that acts as a direct watchdog over the creative artistic self, leading to the examination of a number of Iraqi artistic models in the fields of painting and sculpture. This leads to the attainment of the fundamental goal implicit in the question of looking for the ramifications of the subconscious structure to produce the desired creative experience.

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

Keywords: representation, unconscious structure.

الفصل الأول : منهجية البحث

مشكلة البحث : تعد بنية اللاوعي أو اللاشعور الجمعي مرجعا مهما في نوع الانجاز الفكري والأدبي والفني وتبيان سماته وخصائصه ، تبعا للفعل التراكمي للارث المعرفي بمستوياته المختلفة على صعيد الميثولوجيا والدين والموروث الثقافي والأعراف وكل الثوابت اليقينية ، فضلا عن متغيرات الأبنية الاجتماعية كونها التمثلات الحسية لكل المعارف العقلية . ولهذا يمكن التفريق بين طبيعة انتاج الفنون طبقا لتلك المتغيرات الأنثروبولوجية التي تشكل عاملا مهما في خصائص هذا الحقل الابداعي .

ولعل هذه البنية بتعالقها الفكري مع نظريات (اجتماعية ونفسية) اكتسبت حضورها الكيفي بفعل هذا التعالق وأسهمت في البنيات السطحية والعميقة القابعة خلف الشكل الظاهري في حركة الرسموية العراقية والمنجز النحتي ، التي تجلت بتجارب فنية تمثل ظاهرة كبرى في المتحقق البصري التي أفضت اليها منجزات الجماعات والاتجاهات الاسلوبية أو على مستوى الأعمال الفردية الشاخصة في ساحات المدن العراقية وشوارعها وارثها المتحفي . ولذا فأن هذه التمايزات التي تؤسس للاختلاف المرئي وصولا الى الاختلاف في المنهج التشييدي او المدرسي الواحد انطلاقا من اختلاف المرجع الفكري لكل فنان . وهذا البحث يرصد تحولات بنية اللاوعي طبقا لمتغيرات المكان والزمان والارث الثقافي ومن ثم انعكاساته على شكل الفن ، بوصف هذا اللاوعي يمثل الذاكرة الجمعية الشعبية التي تضحو رقيبا لا مباشرا على الذات الفنية الخلاقة ، وهنا تبرز المشكلة البحث الحالي بالسؤال التالي : ما كيفية انعكاسات بنية اللاوعي في التشكيل العراقي المعاصر ؟ .

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث بما يلي :

١- تسليط الضوء على موضوع بنية اللاوعي المسكوت عنها في الدراسات الانسانية ومنها الفنون ، كونها منطقة تفتقد للتجنيس والتأصيل المرجعي .

٢- الافادة من مخرجات البحث الحالي بوصفها بداية لبحوث جديدة يمكن ان تتوصل الى قراءات جديدة على صعيد التشكيل العراقي .

هدف البحث : يهدف البحث الى : الكشف عن بنية اللاوعي في التشكيل العراقي المعاصر .

حدود البحث :

- الحدود الموضوعية : التشكيل العراقي اعمال (الرسم والنحت).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

- الحدود المكانية : العراق .
- الحدو الزمانية : من ١٩٥٠- ١٩٩٠م .

مصطلحات البحث :

– الانعكاس : هو مفهوم اساسي في بحث المعرفة المادي . وأن الذات ترى المضمون الموضوعي في الصورة الفكرية للانعكاس ، اي في شكل صورة الشيء. (روزنتال ، ١٩٩٧ ، ص٩١) .

– بنية اللاوعي : هي منطقة داخل العقل ليس بأمكان الفرد ادراكها . وأن اللاوعي هو الذي يكشف عن المشاعر والعواطف والأفكار الحقيقية للفرد.((freud 1955 ,p247

الفصل الثاني : الاطار النظري

المبحث الأول : بنية اللاوعي .. المفهوم والمرجع الفلسفي

مما لا شك فيه ان اولى التأسيسات النظرية للكشف عن بنية اللاوعي اسهمت فيها مدرسة التحليل النفسي على الرغم من الاختلاف الجوهري في رؤية كل من اقطاب هذه المدرسة بفعاليتها الأولى او مراحلها المتأخرة ، فتعد طروحات (فرويد) بهذا الخصوص المقدمات الأولى التي فتحت الباب واسعا للتخرصات والرؤى المرافقة التي حاول المزاوجة بينها كل من (يونك) او محاولة (جان لاكان) المزاوجة بين البنيوية ومعطيات مدرسة التحليل النفسي في منهجه (البنيوية النفسية)، وحين يشير اللاوعي الى فعل فأنه يعني أي فعل يتم تلقائيا بواسطة الانعكاس ، قبل أن يكون سببه وصل الى الشعور ، وفي النظريات المثالية هو اصطلاح يعني منطقة خاصة من النشاط النفسي تتمركز فيها رغبات ودوافع واماني خالدة لا تتغير تحددها غرائز غير مفهومة للشعور، وقد ظهرت نظرية اللاشعور المثالية في أكمل صورها في الفرويدية / وبحسب تقسيمات (فرويد) فأن " اللاشعور هو الأساس العميق للنفس، وهو يحدد كل الحياة الشعورية للفرد، بل حتى الأمم بأكملها، وأن الشعور مظهر سطحي للنفس عند نقطة الالتقاء بالعالم الواقعي، ويعتمد على قوى غامضة لا شعورية" (روزنتال ، ١٩٩٧، ص٤١٤) . بمعنى ان كل ما يتجلى ظاهريا من سلوك وممارسات اخرى مرجعها الأساس هو اللاشعور الجمعي.

وأضاف (لوسيان كولدمان) الى بنية اللاوعي من خلال منهجه (لبنيوية التكوينية) او التوليدية مفهوم (الوعي الممكن) وهو ما يمكن ان تفعله طبقة اجتماعية ما ، بعد ان تتعرض لمتغيرات مختلفة دون ان تفقد طابعها الطبقي) (شحيد ، ١٩٨٢،ص٤٠) . وتعد هذه اضافة مهمة على بنية اللاوعي التي عملت عليها جميع النظريات الاجتماعية ، بوصفها المطلق الذي تلتقي عنده هذه النظريات . واذا كان فرويد يبحث في اللاشعور الفردي فأن محمولات (يونك) الماركسية دعته الى البحث في

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

اللاشعور الجمعي ، ودعا الى توطين هذا المفهوم من خلال مجموعة من المقولات التي صاغها ازاء ذلك والتي اثبت صحتها في جزء كبير من توصلاته في ضوء المقاربات الاجتماعية أو الثقافية التي هيمنت او اسهمت في صياغة اي مفهوم او منجز ابداعي مهما كان جنسه ومرجعياته التقنية والفكرية . ويشير (يونك) في مجمل حديثه عن رمزية الفن " ان هدف الفن الحديث هو أن يعبر عن الرؤية الداخلية لدى الانسان وعن الخلفية الروحية للحياة والعالم . فالأعمال الفنية الحديثة لم تتخل عن عالم المحسوس ، العالم الحسي (الطبيعي) وحسب ، بل تخلت أيضا عن عالم الفرد لتغدو جماعية الى حد كبير ، وبالتالي تلامس الكثرة الغالبة " (يونغ ،٢٠١٢ ، ص٣٤٩) . بمعنى ان الفن حتى في اقصى تجريده او مغادرته الواقع فأنه ينتمي للعالم الحسي ويعبر عن حال الجماعة المنتجة للذات الفردانية ولرؤية العالم كما يسميها (كولدمان) ، اي النظرة الاجتماعية وبنية اللاشعور الجمعي هي الأساس في تصير العمل الفني .

وفي مجالات تطبيق الفنون فأن بنية اللاوعي تظل فاعلة بشكل كبير مهما اعلنت المجتمعات عن تطورها ، فمنذ معرض (المرفوضات) الذي بدأت بها الحداثة الأوربية عصرا جديدا كان اللاشعور الجمعي هو المهيمن في رفض تلك الأعمال من قبل قاعات الفن ومتذوقيه ، بوصفها أعمالا خارج الذائقة المجتمعية الأوربية ، وتم تحييد عرض هذه الأعمال التي أضحت العمود الفقري للفن الحديث برمته ، وبعد تطور الأداء وتعمق تجربة الفنانين المحدثين اتضحت الدلالة في فضاءها التداولي على صعيد الأبعاد (الاجتماعية والسياسية والثقافية) بشكل أكثر وضوحا . ولعل تجربة (فان كوخ) في رسمه لأحذية الفلاحة (أحذية قديمة بأربطة) في ضوء ما أسماه (هيدجر) بالمصاحبة يشكل علامة تحتفظ بفضائها المرجعي الاجتماعي ناتجة من عمق الأسى الذي عاشه كوخ ، وأن هذه الأحذية الممزقة هي أحذية الفنان وليس الفلاحة ، لأن الفنان يصاحب عمله لأحذيته الخاصة ،" فعندما يعرض هيدجر لزوج الأحذية القروية في لوحة فان كوخ ، انما يستحضر العالم الذي يكشفه زوج الأحذية ، ويصف المعنى المتضمن في اللوحة ، المعنى الذي يفتح وضوحا يكشف عن عالم ويضع أفقا له " (سلفرمان ، ٢٠٠٢ ، ص٢٠٢).

وتعد لوحة (بابلو بيكاسو) الموسومة (الجورنيكا) من أهم الاستثمارات في بنية اللاوعي الجمعي على مستوى الانجاز والتلقي معا من حيث تشكلات النص البصري عبر تجسيد فاجعة قصف الطيران الألماني لقريته (الجورنيكا) والذهاب الى مرموزات انسانية ومحلية اسبانية لتوظيفها والنفاذ عبر دلالتها وطاقتها العلامية الايقونية المعبرة عن ضمير هذه الجموع التي تناغمت في الرؤى بين ما انجزه بيكاسو

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

وبين رؤى التلقي وحيزها الجمالي فيما بعد ، لتصبح ايقونية اممية من خلال تبنيها من المنظمة الأممية شعارا للسلام رافض لقسوة الحرب وتدمير الذات الانسانية .

المبحث الثاني : التشكيل العراقي واللاشعور الجمعي

أن التشكيل العراقي كغيره من الفنون الأخرى تحيط به ظروف موضوعية تؤثر به بشكل ايجابي أو سلبي ، ولعل من أهم هذه الظروف هو اللاشعور الجمعي المؤثر في بنية الخطاب من خلال جدلية تتنازعها قوى تؤثر في انحساره عندما تصبح كمحظورات مجتمعية او سياسية ، وينتعش عكس ذلك عندما تتسع رؤية النظر لهذا الخطاب ودعمه حين تتوفر قناعات حول تمثيله لروح المجتمع والطبقات الاجتماعية بدءا من (جماعة بغداد للفن الحديث) ورؤى (جواد سليم) وتطلعاته الجمالية التي تكرست في (نصب الحرية) الذي يرمز الى صراع الشعب العراقي ونزوعه للتحرر مرورا بكل هذه الحقب الزمنية وصياغة خطابه الجمالي المنتج للعديد من القراءات التأويلية " أي أنه يمثل وثبة للفن العراقي بالاتجاه الصحيح ، ولعل المصادفات السعيدة ظلت تلاحقه فترة التشكيل هذه ثم تفجير مراجعاته الاسلوبية تجانسا مع مخيلة حالم يريد أن يرى صورة لبغداد في مرآة خيبته لتنعكس بهيأة وثبة جيل ذاق مرارة الانقلابات السياسية وأصناف الغزو، راغبا في ترصين نزعته الوطنية" (جبرا ابراهيم، ١٩٧٢ ، المقدمة) وتفعيل مبدأ التناص بين الماضي والحاضر في محاولة تجمع بين الواقعي والمتخيل لما يجب أن يكون عليه الحال، بوصفه نبوءة قادمة أو مستقبلية ممكن أن نجد مقارباتها الآن في مظاهر الاحتجاج السلمي الجماهيري تحت النصب نفسه في ضوء تماثل مقاطع الافريز النحتي البارز مع مقاطع حياتية مصورة من الواقع الفعلي للمحتجين ، بمعنى أن النسق الظاهري يردد مقولات السلطة بينما يتفق النسق المضمر على مخالفة هذا الرأي ويجد فيه اشارة لمعنى الحرية والتضحية من أجل الأهداف النبيلة والسامية ، فضلا عن دراسة جواد للتراث الفني العراقي القديم ، لذلك اوجد مقارباته في هذا السطر الكتابي مع المسلات العراقية القديمة في سومر واشور التي كانت توثق مشاهد مصورة للأحداث وسجل الانتصارات الأخرى في الحروب على الدويلات المجاورة ، وأن هذا النصب " يمثل لحظة ريادة في مسار النحت العراقي منذ مدونات سومر ، وينتمي الى النحت الذي يقف وسطا بين التشخيص والتجريد ، وهو أحد مفاخر الفن العراقي المعاصر الذي يوثق فيه الحرية كبديل عن الاستعباد " .(عاصم عبد الأمير ، ٢٠١٩، ص١٤٣) .

وكانت جدوى البحث المخلصة والجادة لدى جواد ورؤيته الاستشرافية تحقق عنها (نصب الحرية) وسط بغداد يتماهى مع طبيعة الحدث اليومي ، فضلا عن السياق التأريخي الذي يتضمنه النصب في

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

قراءة عيانية توثق عن طريق مدونة بصرية لنضال الشعب العراقي المستمر من اجل الحرية ونزوعه للخلاص من التسلط . وأن نصب الحرية هو خلاصة لكل ما أنجزه جواد على صعيد النحت من أعمال نصبية تنتمي الى النحت المدور ، اذ كانت موضوعاتها تقترن بمضامين افاريز نصب الحرية مثل (السجين السياسي ، الامومة ، البناء) وغيرها ، وصولا الى مضامين الرسموية الذي تم التركيز فيها على الموضوع العراقي المحلي سواء كان سياسيا أو انعكاسا لمنظومة التفكير الاجتماعي كما في أعماله البغداديات أو (الشجرة القتيلة) التي كرست نضالات الانسان العراقي ونزوعه الترميزي الكبير الحامل لدلالة التعبير عن مساواة الفرد بالبناء الاجتماعي وتماهي تلك الذات المفردة في الذات الجمعية لتشكل كلا من خلال الآمال أو النظر لفاعلية تلك الذات .

بيد أن تطلعات (شاكر حسن آل سعيد) كانت أكبر من جماعة ترسم الواقع المحلي ، فهو المحمل باسرار الروح الشرقية والبحث عن الباطني الذي يتجلى في الخطاب المرئي والانزياح من التعبير الى تأمل الكون والأسرار الأولى وامكانية توظيفها في اللوحة المرسومة ، حملته هذه الهواجس والقلق الابداعي الى اشتراطات أخرى للعمل الفني أكثر تعبيرا من تعبيرية جماعة بغداد تتكرس فيه الهوية وملامحها العربية والاسلامية ، فوجد أن الحرف العربي بمحمولاته الجمالية والعلامية وطاقته التعبيرية يصلح للتمترس خلفه للانجاز الجديد والتئم شمل جماعة الحروفيين أو البعد الواحد واصدروا البيان الأول للجماعة عام ١٩٧١ م وصاغ فيه آل سعيد وزميله قتيبة الشيخ نوري المرجعيات الاجتماعية لتصيَر الحرف العربي ومرجعياته الشكلية التي تتواءم مع ملامح الطبيعة الصحراوية العربية وامتداداتها اللامتناهية ، وبدأت رحلة الاشتغال هذه عبر هذه التبديات والانثيالات التي تحركت بقوة لتتجاوز جغرافية المكان العراقي الى مناطق أكثر اتساعا لتصبح الحروفية العربية مدرسة فنية لها اصولها ومريدوها على السواء ، وأضحى آل سعيد شيخ الطريقة وأبا لكل جديد يرتمي بأحضان الحرف العربي على الرغم من طرائق النظر الى متبنيات الأصل الحروفي ، فتعددت المدارس والاتجاهات بعيدا عن القاعدة الخطية للحرف ، الا بوصفه عنصرا تشكيليا مطاوعا ، وأن تعدد مسارات الاشتغال منحتنا اضافات نوعية على صعيد الحروفية العربية .

فيما ذهب (كاظم حيدر) بالخطاب الجمالي الى مصاف الخطابات النابعة من جوهر الهم الانساني والأسئلة الوجودية الكبرى التي كانت تمليها مرحلة ومقطع زمني على الذات المفكرة لتنتج خطابا بصريا يتسق مع تلك المعطيات بمساهمة عوامل عديدة منها ما هو ذاتي وما هو موضوعي . في ضوء الالتصاق بالهموم الشعبية وتأثير معطيات الواقع السياسي والديني له الأثر الواسع في منجزه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

العياني وأضحت المضامين الانسانية المشتركة جزءا رئيسا من موضوعاته مثل الشهادة والبطولة وتثويرها لتصل الى الآخر على أنها مضامينه أيضا وترتقي بها ، في محاولة لجعل الرموز العراقية والعربية والاسلامية علامة مهيمنة في ذلك الخطاب تؤسس لحضورها الواضح في الذاكرة الجمعية ، حضورها الذي يستوي مع الحضور الانساني ساعيا الى عولمة تلك الرموز متأثرا بمنهج نقدي فاحص يتخذ من الواقع أساسا في قراءاته النقدية ، حيث حركية الواقع وسيرورة التأريخ وحتميته بما تفرضه انساق التطور الاجتماعي التي تؤدي بالتأكيد الى تراكمات على صعيد الوعي بوصفه محددا للنظر الى اللامرئي في صراع الطبقات الاجتماعية ليتصير الى خطاب مرئي عياني . وبالتالي تصبح تأثيرات الفكر على الواقع واضحة وتجعل منه أداة للتغيير وليس لمعرفة ذاته فقط (علينا أن نسعى الى تغيير العالم لا لتفسيره وفهمه فقط).

فكانت محاولات (كاظم حيدر) تصب بهذا الاتجاه حين صاغ ملحمته البصرية في ستينيات القرن العشرين وانتخب لها اسما يتجاوز حدود المكان (ملحمة الشهيد)، ولكنه اتخذ من حادثة عراقية محلية تبئيرا فلسفيا لمعنى الشهادة والبطولة ، ولهذا فأن الرمز الشرقي (الحسين ع) وواقعة الطف في كربلاء هي تمثلات الخلود الأبدي لفكرة الشهادة المرادفة لمعنى البطولة والتضحية وتثوير موضوعة الشهادة والبطولة بفضائها الانساني وتحويل الخطاب من الخاص الى العام ، بحيث يحاول تصوير الواقعة دون اهمال لذاكرة المتلقي وانفعالاته ، فالحسين والشمر وزينب والطفل الرضيع كلها مفردات قابعة في الذاكرة الجمعية ولها محمولاتها الدلالية التي تنم عن ثقافة شعبية تتداخل مع ما هو ديني في انتاج الدلالة ومعناها الكامن في الشكل المرئي ، " هذا الفضاء الايهامي المتصور يرسمه ويكونه المتلقي لا للتطهير عبره ، كي يبكي كما يفعل البسطاء ، بل ليعيد تشكيله في المخيلة ،بوصفه فضاء ممكنا تحققه ثقافيا عبر ايديولوجية الشهادة ، فالنص في اللوحة ليس نتاج الفنان ، بل هو نتاج لعوامل كثيرة ، للتواريخ وللأزمنة وللأمكنة وللشعوب وللثقافات وللجغرافيات ، كل هذه المرجعيات تتألف منها ثقافة اللوحة" (النصير ، ٢٠١٣ ، ص٥٦).

وفي لحظة زمنية مبكرة حسم (محمد غني حكمت) حيرته بالاختيار وتعيين ملامح الطريق المؤدي الى ما وصل اليه ، معلنا وبلا خجل أو تردد ترسيخ خطاه بأتجاه الرؤى المحلية والتراث العربي والشرقي ورصيدهما المخزون في الذاكرة الشعبية والطقوس الاجتماعية ومفردات الحياة اليومية التي تمنحها الديمومة ، مبتكرا انموذجه الحداثي القائم على محاكاة الاسطورة وتوظيف الميثولوجيا والارتداد الى المنابع الأولى ، اذ لم يكن بعيدا عنها بفعل المعايشة والتداول اليومي فجاءت حداثته متسقة مع طبيعة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

واقعه المعيش وفروضه المسبقة ، فضلا عن نزعة داخلية متصالحة مع كل هذه الأنماط ، وأن " حداثة نسب لا حداثة حائرة ، من منطلق أن الحداثة التي ترتكز على طروحات الآخرين ليس بمنأى عن الخطر . وبهذا فأنه يريد لحداثته أن تكون حداثة تنتسب لتأريخ ومحمولات عراقية وشرقية لها صلة كبيرة بمجرى التراث منجز الأصلاب"(عاصم عبد الأمير ، ٢٠٠٢، ص١٤) . فأعماله التي شغلت مساحة زمنية واسعة تزيد على نصف قرن لم تبدو كأنها متوسلة أو خاضعة لأنماط التركيب المعارة من الآخرين ، حيث بدأ حازما ومراقبا لما يحدث بمزيد من الثقة مبتكرا حداثته القريبة من المنابع وأسرار التراث وحفرياته العميقة . وهذا ما جعل مجموعته النحتية تتخذ منها معابرا واسلوبا مميزا في مشهدية النحت العراقي يمكن الاستدلال على سماتها منذ لحظة التلقي الأولى ، مما يجعلها رسالة عراقية بمقدورنا التيقن من فرضيات تأثيرها لأنها تحتفظ بما يكفي من وسائل المتعة بوجه الخلط الذي جلبه الفهم المشوش للحداثة . وبقدر ما تمنحنا بعض نماذجه بعدا تسجيليا ، لكنها تلزمنا بالوثوق بطبيعة الجذر الذي انحدرت منه ، لكونها تحمل تراكما متصلا بعيدا عن الحيرة والاضطراب وأنها نابعة من جوهر حركة الحياة وأثرها . أنها أصالة محدثة تقيم التوازنات بين وجودنا الحي بخسارته ومآثره وهناءاته وليس من الصعوبة تعقب امتداداتها الجذرية سواء ما اتصل بالتجربة الاجتماعية أو في سياقها التأريخي القصي .

أن اتخاذ حكمت الجسد محورا لاشتغالاته النحتية يمارس الحفر من خلاله في جسد الخطاب نفسه ويعود الى قراءته لمظاهر تمثله في مجمل النشاط الانساني في ضوء المعتقدات والطقوس الاجتماعية وجوانب الحياة الأخرى ، اذ تتحول مباشرة التصوير الى شفرة دلالية تحيل الى ما هو خارجها ويصبح خطابه محمولا على تلك الشفرة والسياق اللذين يلتحمان في صياغة نصه النحتي عبر قوالب بنائية . مما كرس لديه قناعة تأملية تبحث في معطيات النحت السومري والآشوري وتقانة التشريح وايقاعية الخطوط . وما أجساده الانثوية العارية الا جزء من التعبير والعمل على المحمولات الدلالية لموناد الجسد ذاته واستنطاق حضورها الكامن في بنية العقل الجمعي وأنها قيمة جمالية مجردة من كل التبعات التي تنال منها، لكونها تبعث ، لكونها تبعث الاحساس بالاحترام ضمن هذه الصياغات ولا تكشف عن رغبة ايروسية تحط من قيمة الجسد ، لأن منحوتاته تبتعد عن الرغبة الحسية في الجسد العاري وأثرها ، بل أنها تنزع نحو الذات المتجلية والمنعكسة في الخطاب مثلما يفعل بصورته الصباحية عندما يقيم معها حوارا ذهنيا صامتا أمام المرآة .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

ولعل مجموعة الثقافات والتواريخ والأمكنة ، فضلا عن الآيديولوجيا هي التي دفعت الفنان (فيصل لعيبي) للبحث عن الذات العراقية ، بوصفها ذاته التي حاصرتها آلة القمع السياسي ، فعلى الرغم من هجرته خارج الوطن ، ألا أنه ظل يتمسك بأمكنته المحددة ويستدرجها الى أعماله الفنية ويحولها الى علامات لها حضورها الايقوني أو الرمزي داخل الوعي الجمعي العراقي ، فتعد صور (الجواهري والبياتي ورشدي العامل وبلند الحيدري) علامات لها حضورها داخل الثقافة العراقية وتشير الى النفي الذي مارسته السلطة على تلك الأسماء وبالتالي هي صورة للوطن المحتج ، فضلا عن تكريسه موضوعات عن (الجسر المعلق ، جوامع بغداد ، الصحن الكاظمي ، حلبجة) ولعله يحمل هذه الأمكنة من خلال مبدأ التصاحبية الذي تحدث عنه (هيدجر) من قبل، والتجليات الأثيرة التي جعلت من هذه الأمكنة تستبدل في الوعي من أمكنة لها حضورها الواقعي الى أمكنة تتداخل فيها بنيتي الزمان والمكان في لحظة تأريخية واحدة تؤشرها بعض الاشارات المرافقة أو المرتبطة بها مثل (كف العباس ، كربلاء ، الاله العراقي) وغيرها التي تمظهرت في لوحته المرسومة هي فضاء عراقي دون منازع له محمولاته الكامنة في ضمير الأغلبية ، بوصفها تمثل الاحتجاج والرفض لعناوين القهر السياسي ، وأن" نزوعه المحلي وتشبثه بجذره الواقعي دعاه الى المزاوجة بين الملفوظ اللساني وتمثله العياني في احتفائه بالمدن ، وكانت خطوطه الصورية بمثابة ندوب على خارطة الوطن وبوابات المدن التي حفرت موقعها في ذاكرته في تكوينات (البصرة ، بغداد ، الكوفة، بابل ، سومر) واشارة الى جدل العلاقة بين الارث الحضاري بمحمولاته الفنية والفكرية ومديات التعالق مع الحاضر بفعله الثقافي والرمزي ، وهي مناجاة واغتراب لاجتلاب التأريخ من ألقه المضيء الى عتمة الحاضر التي تلف مشاهد مدنه المحببة ، جاعلا من التزويقي والزخرفي أساسا في تقنيات اظهار اللوحة " (الزيدي ، ٢٠١٥ ، ص٤٦) .

الفصل الثالث : اجراءات البحث :

- **منهج البحث** : اعتمد المنهج الوصفي لتحليل المحتوى في البحث الحالي ، كونه الأكثر ملاءمة لتحقيق أهداف البحث الحالي .

- **مجتمع البحث** : استطاع الباحثان من الحصول على مجتمع البحث من خلال المصورات وشبكة المعلومات ، فضلا عن التصوير المباشر لبعض الأعمال التي تمكنا من الوصول اليها . وقد بلغ مجتمع البحث (٣٥) عملا نحتيا وعملا مرسوما تتوافر فيها خصائص بنية اللاوعي ،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

- **عينة البحث** : اعتمدت الطريقة القصدية في انتقاء عينة البحث في ضوء المماثلة المضمونية وشهرة بعض الأعمال وحضورها في الذاكرة الجمعية ، بما يؤمن علاقة تواصلية مع هذه المنجزات، مع الأخذ بنظر الاعتبار جنسي العينة (النحت والرسم) ، وقد بلغت العينة (٤) نماذج ، اثنان (٢) لجنس النحت ، واثنان (٢) لجنس الرسم ، اذ بلغت نسبة العينة (١١%) من المجتمع الأصلي .

- **أداة البحث** : حاول الباحثان استخلاص مرتكزات بانية للتحليل تم استخراجها من مؤشرات الاطار النظري ، لتكون بمثابة أداة تحليل لنماذج العينة .

- **تحليل العينة** :

انموذج رقم (١)

اسم الفنان : جواد سليم

اسم العمل : نصب الحرية

القياس : ٨ * ١٤ م

المادة : برونز

استجمع الفنان جواد سليم كامل قواه التي تؤهله لأن ينجز عملا نحتيا بعد تمرينات جمالية يمكن أن تصب في ذات الهدف ، حيث الموضوعات التي تجسد سيرورة تاريخية لشعب ناضل وواجه طوال تاريخه الطويل من اجل الحرية ، فكانت الامومة والسجين السياسي اعمالا نحتية ، ثم اصبحت مفردات داخل هذا السطر المصنوع منالبروز ، وهو كتابة نحتية لهذه السيرة الت تمنى (سليم) لانجازها وطالما حلم بها طويلا . ولو استطعنا تفكيك هذه البنية الجمالية المكونة من (١٤) مفردة نجدها تنتمي لصراع هذا الشعب وتمثله ، وان بنية اللاشعور او العقل الباطن هو الذي قاد (سليم) لانجاز مثل هذا العمل الفني ، بدءا من العامل والفلاح والامومة التي تحتضن الطفولة (المستقبل) بمعناه التفسيري وصولا لصورة الحصان الجامح وصهيله المؤدي الى تحريك شرف الجندية عندما تنتفض للثورة ويبدأ ممثلها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

(الجندي) بفتح اسوار السجن لتشرق من فوقه شمس الحرية وتعود الحياة على وفق ما يجب ان تكون عليه ، تلك التي مثلها الجزء الأيسر من النصب . ولأن النصب هو مجموع قوى شعبية متحالفة أدرك اهميتها الفنان ، أمسكت بذات التلقي الشعبية أيضا من شمال الوطن الى جنوبه ليصبح ايقونة للتحرير والمطالبات بالحقوق على مر التأريخ بشراكة بنية اللاوعي المندمج في صورة الايقونات المكونة للنصب . وهنا تجتمع الية الانجاز والتلقي في الفكرة ذاتها .

انموذج رقم (٢)

اسم الفنان : محمد غني حكمت

اسم العمل : شهريار وشهزاد

القياس: نحت مدور

المادة : برونز

حاول محمد غني حكمت التعامل مع التراث العراقي على وجه التحديد من أجل نبش مفردات وعلامات تنتمي لذلك التراث ، سواء ما حمله هذا التراث على مستوى الفكر ، او معطى الحياة اليومية ، فقد عاد للجسد الانثوي في معظم اشتغالاته النحتية ، بيد أن المنظومة الشعبية شغلته واخذت مأخذا كبيرا منه ، فمن (كهرمانة والأربعين حرامي) عمله الأول وهو يتعامل مع الحكايا الشعبية البغدادية ويجسها عبر نظمه النحتية ذات الكفاءة التقنية . ولعل نصبه (شهريار وشهرزاد) هو الولوج الى جوهر الحكاية الشعبية التي ترددها الجدات والامهات على الأطفال وتحفظ الذاكرة الجمعية في كثير من اشرطتها تلك الحكايا المتعددة حتى بعد أن تصمت (شهريار) عن الكلام المباح ، وهي من قصص الف ليلة البغدادية التي تروي مغامرات الأفراد قديما أو نزوع النسوة الى جزر الماء وواحاته من اجل حكايا الصحبة وروي الأحلام التي تحتفظ بها كل منهن . هذه القصة او الحكواتي الذي يروي حكاياه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

هو الضمير الشعبي وممثل الذات الجمعية التي تلتقي عند الحكايا ، ولم تجد اية غرابة على صعيد التلقي او التفاعل مع النصب وكأنه جزء من ذاكرتهم ومروياتهم الخاصة ، وهو ما تقصده الفنان في تسويغاته الجمالية عندما اقام هذا النصب .

انموذج رقم (٣)

اسم الفنان : فائق حسن

اسم العمل : جدارية الطيران

القياس : ٤*٧ م

المادة : زيت على خشب

تتكون هذه الجدارية من صور احتفالية نسجت بالزيت على الخشب وتم تغليفها بالزجاج أو المزائيك لتنتمي الى فن الفسيفساء ، وهي تتعالق فيها صورة الشعر المتخيلة او الماخوذة من الواقع وصورة الواقع الفعلي الذي جسه الفنان (فائق حسن) . فاجتمعت قصة الشاعر مع مرويات الرسام لانتاج هذا العمل الفني ، فقد استوحى الفنان صورته من رؤية الشاعر وصورته الذهنية المتخيلة حيت قال (تطير الحمامات في ساحة الطيران ، البنادق تتبعها ، وتطير الحمامات ، تسقط دافئة) فقد اتسعت دائرة الرؤية لدى (حسن) فصور جموع المصفقين للحمامات المحلقة في ساحة اطلق عليها (ساحة الطيران) كجزء من فاعلية الذات الجمعية والكف المصفقة التي تهتف للحاضر العراقي انذاك ، الجموع التي تنتمي الى طبقات المجتمع العراقي المختلفة والتي تصنع ذاكرة الوطن الموحدة ، وهي تهتف وبطريقتها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

العفوية وبفرح غامر لرؤية مستقبل زاهر لهذا الوطن . فكانت لحظة الخاطر التي التقطها الفنان لحظة تتكر لكنها قد تكون عابرة في فضاء الحياة وتضحو ذاكرة استطاع توثيقها ليصنع فرحا من نوع آخر تحتفي بها الحياة العراقية كلما مرت بأزمات واحتاجت للفرح . من هنا فأن بنية اللاوعي تحفر اخدودها على اسم الجدارية وعنوانها ويعاد انتاجها كلما غاب الفرح ، لأن الجدارية تتجاوز حدود الزمان والمكان والطبقة الاجتماعية وتدخل في فضاء الوطن والبناء الاجتماعي العراقي العام .

انموذج رقم (٤)

اسم الفنان : كاظم حيدر

اسم العمل : الشهيد

القياس : ٢*٣ م

المادة : زيت على قماش

حاول الفنان كاظم حيدر دخول مسار جديد في حفريات الخطابات البصرية ، حيث استثمار الواقعة الدينية الشعبية وتثويرها لتضحو موضوعة انسانية ، في ضوء اجتراح مسميات مرادفة لها لأمكانية انتشارها وتوسيع رقعة تلقيها والتفاعل معها ، فأضحت واقعة الطف في كربلاء واقعه انسانية ترتبط بالظلم وانتصار قيم الشهادة ، تلك التي نعت ملحمته فيها وليس هذا العمل فقط لأنه جزء من مجموعة متكاملة ، يحتوي العمل على مجموعة خيام بيضاء تحمل دلالتها الخفية أمامها خيول بلون أحمر فوقها فرسان بسيوف تمد رؤوسها امام شواخص يرتدي كل منهم رداء الطهر الأبيض ، في حين رسم في المقدمة كف مبتورة او يد الحسين وهو يهوي على الأرض وهو يواجه صهيل حصانه الذي لم يغادره وحيدا .. وهي لا تختلف عن المرويات الشعبية التي تستذكر الواقعة كل عام . من

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

هنا استطاع (حيدر) على تبئير الواقعة فلسفيا ومنحها عمقا من خلال مرويات الذاكرة الجمعية وتلقيها لهذا العمل الذي يتعرف عليه الكثير على الرغم من خطابه الحداثي المتعالي ، الذي يتجاوز صورة المخيال الشعبي ، الا أن الترديدات الأمينة لجوهر الواقعة هو ما يمنح لحظة التلقي صدقها مقابل صدق التمثل والتجسيد التي مارسها (حيدر) في اشتغالاته الفنية .

الفصل الرابع : النتائج والاستنتاجات

- **نتائج البحث :** بعد الانتهاء من تحليل نماذج عينة البحق استطاع الباحثان التوصل الى عدد من النتائج وكما يلي :

١-تجلت بنية اللاوعي من خلال فاعلية التلقي والاستجابة مع بعض الأعمال المواجهة لبنية التلقي في الشوارع والساحات كما في النماذج (١ ، ٢ ، ٣) .

٢-افاد بعض الفنانين في التشكيل العراقي من الموروث الاجتماعي الجمعي الشفاهي واستطاع صياغة خطاب جمالي من هذا الموروث كما في النموذجين (١ ، ٢) .

٣-استطاع الفنان كاظم حيدر من تثوير المفردة المحلية عبر حادثة الطف في كربلاء وصياغة خطاب بمفهوم انساني قائم على الموروث الديني كما في النموذج رقم (٤) .

٤-تماشيا مع الفعل الجماهيري في لحظة زمنية معينة استطاع الفنان فائق حسن من تجسيد صورة الوعي الجمعي في جدارية تمثل نضالاته اليومية ، تلتقي فيها الأكف والطيور المحلقة كما في النموذج رقم(٣) .

أن صدق التجسيد للوقائع والمرويات الشعبية في الفعل الانجازي سينتج حتما موازياته في تلقي العمل الفني ، بوصفه وصفا صادقا لليقين الشعبي كما في النموذج رقم (٤) .

الاستنتاجات :

١- اتضح ان الأعمال الفنية الموجودة على مرأى الجمهور العريض تحتفظ بلحظة تلقي كبيرة تصل الى المعرفة التفصيلية بها .

٢- تحقق الأعمال المرتبطة بالتراث الديني والحكائي القصصي استجابات سريعة من قبل الجمهور .

٣- ان محاولة بعض الفنانين الذهاب الى خطابات مباشرية أو ترميزات محلية سعيا لجلب الجمهور الى اعمالهم وتلقيها دون عوائق تذكر .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

المصادر :

١- جبرا ابراهيم جبرا : الفن العراقي المعاصر، وزارة الاعلام ، السلسلة الفنية ١٥، بغداد ١٩٧٢.
٢- الزيدي ،جواد : تناصات المرئي، دار أمل الجديدة للنشر والتوزيع ، دمشق ،ط١ ، ٢٠١٥ .
٣- يونغ ، كارل : الانسان ورموزه ..سيكولوجيا العقل الباطن ،ت عبدالكريم ناصيف ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، ط١، ٢٠١٢ .
٤- النصير ، ياسين :اللوحة الحروفية ، مجلة تشكيل ، دائرة الفنون التشكيلية ، بغداد، ع١٢، ٢٠١٣ .
٥- سلفرمان، هيو،ج : نصيات ، ت علي حاكم وحسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ،بيروت،ط١ ،٢٠٠٢ .
٦- عاصم عبدالأمير : تخطيطات النحات محمد غني حكمت ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،٢٠٠٢.
٧- ---------،------ :جواد سليم أجنحة الأثر ..ريادة أم ريادات، جمعية التشكيليين العراقيين، ٢٠١٩ .
٨- روزنتال ،م ويودين ، الموسوعة الفلسفية ، ت سمير كرم ، دار الطليعة ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٩٧ .
٩- شحيد ، جمال : في البنيوية التركيبية – دراسة في منهج لوسيان كولدمان، دار بن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ .
١٠- Freud ,s, the interpretation of dream . Hogarth press ,1955.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية